@ 878 @ الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون * ويقولون متى ه ذا الوعد إن كنتم صادقين * قل إنما العلم عند ا وإنمآ أنا نذير مبين) ^ يقول تعالى مبينا أنه المعبود وحده ، وداعيا عباده إلى شكره ، وإفراده بالعبادة : ^ (قل هو الذي أنشأكم) ^ ، أي : أوجدكم من العدم ، من غير معاون له ولا مظاهر . ولما أنشأكم ، كمل لكم الوجود ، إذ ^ (جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) ^ ، وهذه الثلاثة ، هي أفضل أعضاء البدن ، وأكمل القوى الجسمانية . ولكنكم مع هذا الإنعام ^ (قليلا ما تشكرون) ^ ا ، قليل منكم الشاكر ، وقليل منكم الشكر . ^ (قل هو الذي ذرأكم في الأرض) ^ ، أي : بثكم في أقطارها ، وأسكنكم في أرجائها ، وأمركم ، ونهاكم ، وأسدى إليكم من النعم ، ما به تنتفعون ، ثم بعد ذلك يحشركم ليوم القيامة . ولكن هذا الوعد بالجزاء ، ينكره هؤلاء المعاندون ^ (ويقولون) ^ تكذيبا : ^ (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) ^ ، جعلوا علامة صدقهم ، أن يخبروهم بوقت مجيئه ، وهذا ظلم وعناد . ^ (قل إنما العلم عند ا) ^ لا عند أحد من الخلق ، ولا ملازمة بين هذا الخبر ، وبين الإخبار بوقته ، فإن الصدق يعرف بأدلته . وقد أقام ا من الأدلة والبراهين على صحته ، ما لا يبقى معه أدنى شك ، لمن ألقى السمع وهو شهيد . ^ (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل ه ذا الذي كنتم به تدعون * قل أرأيتم إن أهلكني ا ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم * قل هو الرحم ن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين * قل أرأيتم إن أصبح مآؤكم غورا فمن يأتيكم بمآء معين) ^ يعني أن محل تكذيب الكفار وغرورهم به حين كانوا في الدنيا ، فإذا كان يوم الجزاء ، ورأوا العذاب منهم ^ (زلفة) ^ ، أي : قريبا ، ساءهم ذلك ، وأفظعهم ، وأقلقهم ، فتغيرت لذلك وجوههم ، ووبخوا على تكذيبهم ، وقيل : ^ (هذا الذي كنتم به تدعون) ^ . فاليوم رأيتموه عيانا ، وانجلى لكم الأمر ، وتقطعت بكم الأسباب ، ولم يبق إلا مباشرة العذاب . ولما كان المكذبون للرسول صلى ا عليه وسلم ، الذين يردون دعوته ، ينتظرون هلاكه ، ويتربصون به ريب المنون ، أمره ا أن يقول لهم : إنكم إن حصلت لكم أمنيتكم ، وأهلكني ا ومن معي ، فليس ذلك بنافع لكم شيئا ، لأنكم كفرتم بآيات ا ، واستحققتم العذاب ، فمن يجيركم من عذاب أليم قد تحتم وقوعه بكم ؟ فإذا ، تعبكم وحرصكم على هلاكي ، غير مفيد ولا مجد لكم شيئا . ومن قولهم : إنهم على هدى ، والرسول على الضلال ، أعادوا في ذلك وأبدوا ، وجادلوا عليه وقاتلوا . فأمر ا نبيه أن يخبر عن حاله ، وحال أتباعه ، ما به يتبين لكل أحد هداهم وتقواهم ، وهو أن يقولوا : ^ (هو الرحمن آمنا به

، وعليه توكلنا) ^ ، والإيمان يشمل التصديق الباطن ، والأعمال الباطنة والظاهرة . ولما كانت الأعمال ، وجودها وكمالها ، متوقفان على التوكل ، خص ا التوكل من سائر الأعمال ، وإلا فهو داخل في الإيمان ، ومن جملة لوازمه كما قال تعالى : ^ (وعلى ا فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) ^ . فإذا كانت هذه حال الرسول ، وحال من اتبعه ، وهي الحال التي تتعين للفلاح ، وتتوقف عليها السعادة ، وحالة أعدائه بضدها ، فلا إيمان لهم ولا توكل ، علم بذلك ، من هو على هدى ، ومن هو في ضلال مبين . ثم أخبر عن انفراده بالنعم ، خصوصا الماء الذي جعل ا منه كل شيء حي ، فقال : ^ (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا) ^ ، أي : غائرا ^ (فمن يأتيكم بماء معين) ^ تشربون منه ، وتسقون أنعامكم ، وأشجاركم ، وزروعكم ؟ وهذا استفهام بمعنى النفي ، أي : لا يقدر أحد على ذلك ، غير ا تعالى . تم تفسير سورة الملك والحمد ا . سورة القلم ^ (ن والقلم وما يسطرون * مآ أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجرا غير ممنون * وإنك لعلى خلق عظيم * فستبصر ويبصرون * بأيكم المفتون * إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) ^ يقسم تعالى بالقلم ، وهو اسم جنس شامل للأقلام ، التي تكتب بها أنواع العلوم ، ويسطر بها المنثور والمنظوم . وذلك أن القلم ، وما يسطر به من أنوع الكلام ، من آياته العظيمة ، التي تستحق أن يقسم بها ، على